مقالات فى كلمات

للأستاذ على الطنطاوى

يؤمنون بالحمار !

وليس هؤلاء الذين يؤمنون بالحمار من بقايا المشركين الأولين الذين يكفرون من جهلهم بالله رب العالمين ، ويؤمنون بالجبت والطاغوت ، ولا الفراعنة الأقدمين عباد العجل ، ولا من إخوان البوذيين الذين يؤمنون بالبقرة ، ولكنهم قوم من المسلمين ، ومن كبار الأدباء الشاميين ، نفروا فرأوا للحمار مزايا وفضائل ليست لهذا الإنسان الذى يؤمن به أخى وصديقى الأستاذ عبدالمنعم ؛ فهو لا يكفر بالله ، ولا يجحد بلسانه الإله الذى خلق له هذا اللسان كما يفعل الإنسان ، ولا ينافق ويتخذ له وجهين ، ولا يثير الحروب على إخوانه فى الحارية ، ولا يعرف جريمة القتل ، ولا رذيلة الانتحار ، ولا تشغله شهوته عن واجبه الحارى كما تشغل بنى آدم ، ولا يفكر فى الأتان إلا مرة واحدة فى السنة ليقوم بقسطه من فضيلة العمل على بقاء النوع ... ولا ينحرف بغريزته عن طريقها فـ (يقترب ...) من حمار مثله ويدع جميلات الأتن ذوات الخد الأسيل والذنب الطويل والساق النحيل ... كما تنحرف غرائز بعض بنى آدم . ولا تتبرج إناثه التبرج المزرى ، ولا تعرف البغاء الرسمى فى (المحلات العمومية) ولا البغاء الطليق على (البلاج) ، ولا البغاء الفنى فى السينما والمجلات المصورة ...

ولم يشاهدوا أتاناً ترقص رقصاً خليعاً ، أو تدخل فرقة (مرشدات) ولم يسمعوا حماراً يغنى غناء مخنثاً ، أو ينظم شعراً رمزياً ، مع سهولته عليه ، وإنه لا يكلفه إلا أن ينهق نهيقاً من بحر جديد مبتكر ؛ ورأوه مع ذلك صابراً على ما قدر عليه ، راضياً بما قسم له ، لم يستغل هذه الحرب ليسرق شعير إخوانه ... لا يغش ولا يرتشى ولا يخون ولا يعرف المكر ولا الحسد ، ولا يتظاهر بالدين ليصل إلى الدنيا ، ولا يتخذ العمل فى الجميات الإسلامية سلماً إلى المناصب ؛ وهو يطيل التأمل ولكنه لا يؤذى أبناء جنسه بتدوين فلسفته ، ويأتى حين يصوت بسجعات وصيحات لها فى موسيقى الحمير جمال ، ولكنه لا يكذب فيدعى أنه من كبار الملحنين ؛ ويجىء بالبلاغة الحمارية المحدثة ، ولكنه لا يزعم أنه مجدد فى البلاغة كما يزعم بعض مشايخ بنى آدم ، لئلا يقال له : اخرس ، فما تجديدك هذا إلا نهيق !

رأوا ذلك فآمنوا بالحمار إيمان تقدير وتفضيل ، لا إيمان دين وعبادة ، فألفوا منذ ربع قرن (جمعية الحمير) ، وجعلوها سرية لأن الناس لم يستعدوا بعد لفهم هذه الأخلاق الحمارية ، وتقدير أهلها ، وكيف ولا يزال الواحد منهم إذا شتم آخر قال له من غروره وحماقته : يا حمار !

وقد خرج من هذه الجمعية رئيس وزارة ووزيران وخمسة من أعضاء المجمع العلمى العربى ، وكان يعطف عليها ملك عربى عظيم ويصغى مستمعاً إلى حديثها . والانتساب إليها صعب ، لا بد فيه من ترشيح ثلاثة من الأعضاء ، وتقديم أطروحة فى شرح مزية للحمار لم تعرف ، وبعد مناقشتها (علناً) يقبل الطالب ويسلم إلى أحد الأعضاء لتطبيعه على طبائع الحمير ، ثم يثبت عضواً أو يرد . ولأن يصير المرء وزيراً أو أستاذاً فى الجامعة (بقانون خاص) أهون من أن يصير عضواً فيها

ولهم إشارة يتعارفون بها ، هى التى سرقها منهم تشرشل فمست الأرض ، وهى الإشارة بالسبابة والوسطى إلى أذنى الحمار ، لا إلى الـ (فاء) من (ڤيكتوار) ! ولهم اصطلاحات فى كلامهم خاصة بهم ، منها أنه إذا دعاهم كبير جاهل ممن يحب أن يجمل بالأدباء مجالسه ، قالوا : هلم نذهب إلى الملف ...

وإذا وصفوا غناء عبد الوهاب (مثلا) قالوا : ما أجمل هذا النهيق ، وإذا رأوا على غنى من أغنياء الحرب ثوباً جميلا ، قالوا : ما أحلى هذه البرذعة ... وإذا شاهدوا داره ، قالوا : ما أفخم هذا الاصطبل . وللجمعية درجات رفعوا بعضها فوق بعض ، فأعلاها اليعافرة نسبة إلى يعفور حمار النبى صلى الله عليه وسلم ، فالسيارون نسبة إلى حمار أبى سيارة الذى أجاز عليه الحجاج من المزدلفة إلى

منى أربعين سنة ، وكان يشق الناس ويقول :

خلّوا الطريق لأبي سياره
وعن مواليه بني فزاره
حتى يجيز ســـالماً حماره
مستقبل القبلة يدعو جاره
فقد أجار الله من أجاره

ولهم علم وأدب ، وهم يفضلون بشاراً على الشعراء لأنه توصل بحدة ذهنه ، وشدة ذكائه إلى التغزل بأتان على لسان حمار ، ويقدمون خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشي لأنهما كانا يختاران ركوب الحمير على ركوب البراذين ويدافعان عنها ، ويثنون على من ألف (خواطر حمار) ومن ترجمه ...

وحديثهم طويل ، فماذا يقول فيه الاستاذ عبد المنعم ؟ أيقول إنهم (حمير ...) ؟ !

أزمة القلوب في مصر :

أنا أحبكم والله يا أهل مصر ، فخذوها مني كلمة محب متألم لا كلمة عدو ناقم ، وإن مصر بلدي ومنها أصلي ، وفيها قلبي ؛ منحته أهلها ولم آخذ منهم شيئاً ، لأنهم لم تبق لهم قلوب يحبون بها ، قد ذهبت بها صبوات النفس ، ونزوات الصبا ، لقد أماتتها هذه المجلات الداعرة ، وهذه الأفلام الخليعة ، فأين الحب يحييها ؟ أين الحب في البلد الذي لا تمتع فيه ثمرات الجمال ؟ وهل يزكو الحب إلا على المنع ؟ وهل يعيش إلا على الأمل ؟ وهل يتغذى إلا بالألم ؟

وهل الحب إلا تطلع إلى المجهول ، وتشوق إلى ما وراء (الحجاب) ؟ وهل أنطق الشعراء بآيات الغزل إلا ذاك ؟ وهل هذه الآلاف من السيقان الباديات على سيف الاسكندرية تبلغ كلها من نفس الشاعر كما تبلغ ومضة من بياض ساق ليلى ، لو بدت للمجنون وللعاقلين ... ساق ليلى ؟ فاذا لم تبالوا يا أهل البلاج ... بهذا الشيء الأثري الذي يسمونه الدين فاحرصوا على الفن . حافظوا على الحب ، فالحياة الحب والحب الحياة ... فماذا تكون حياتنا بغير عاطفة ولا حب ؟ وأين الشعراء يدافعون ، لا عن الفضيلة ، بل عن الحب الذي يحتضر على رمل الاسكندرية ، على حين ترقص عند سريره الشهوات المعربدة وتصيح .

لقد كنا نقرأ (روفائيل) و (الأجنحة المكسرة) فترفعنا إلى عالم في السماء ، عالم مسحور كله عاطفة وفتنة وطهر ، فتتخيل فتاته في أحلامنا تطير في جوّ من العفاف ملفوفة بالنور ، لا بل هو شيء فوق ذلك فما يبلغ قلمي الآن وصفه ، فماذا يرى من يقرؤها اليوم من الشباب ، إنهم لا يتخيلون إلا فتاة الترام أو غادة البلاج ، أو صبية السينما ، فيسرعون إليها ، فما تكون إلا دقيقة واحدة ، حتى يتصرم الحلم ، وتمحى الرؤيا ، فتهبط من السماء إلى أعماق الفراش الدنس ...

أعظم العظماء في تاريخنا :

أعظم العظماء في تاريخنا السياسي خمسة ، لست أنكر عظمة من عداهم ، ولا أبخسه حقه ، ولا أنزل به عن مكانته . وإني لأعلم أن في تاريخنا لعشرة آلاف بطل ، ما تملك أمة مائة من أمثالهم ، ولكن هؤلاء الخمسة معدن آخر ، ماصنع الله منه بشراً غير نبيّ إلا هؤلاء الخمسة ، فكانوا تحقيق المثل الأعلى الذي ينتهي إليه خيال الأديب ، وتأمل الفيلسوف ، وتصوّر الانسان حينما يتصوّر الملك الكامل ، والزعيم والحاكم ، خمسة أو توامن الذكاء أحدّه ، ومن الرأي أسدّه ، ومن الإخلاص أشده ، فان وزنت عظمتهم بسعة نفوسهم ، وجلال مواهبهم ، وقيمة أشخاصهم ، وجدتهم قد رجحوا في الميزان على كل عظيم من غير الأنبياء ، وإن قستها بآثارهم الباقية ، وما صنعوا لهذه الأمة من مجد ، وما خلّفوا فيها من تراث عقلي أو وطني أو خلقي ، ألفيتهم السابقين المبرّزين ، وإن رأيت ما أفادوا من خدماتهم ، وما انتفعوا به من سلطانهم ، وما كان لنفوسهم من حظ من ملكهم ، وجدتهم عاشوا جميعاً مثلما يعيش رجل من عمار الناس ، ما استأثروا بطيب من الطعام ولا لين من اللباس ، ولا أورثوا فضة ولا ذهباً ، ولا استفاد أبناؤهم منهم مالا ولا نشباً ، وإن عرضت بعد ذلك سيرهم عرض ناقد متعقب ، أو نظرت إليها نظر عدوّ بشانيء ، لم تستطع أن